11/11- وَعَنْ أبي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عبَّاس[1] بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلب -رَضِي اللهُ عنهما- عَنْ رَسُول الله -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم- فِيما يَرْوى عَنْ ربِّهِ -تَبارَكَ وَتَعالَى- قَالَ: «إِنَّ اللهَ كتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ: فمَنْ همَّ بحَسَنةٍ فَلمْ يعْملْهَا كتَبهَا اللَّهُ -تَبارَكَ وَتَعالَى- عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلةً وَإِنْ همَّ بهَا فَعمِلَهَا كَتَبهَا اللَّهُ عَشْر حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعمِائةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كثيرةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسيِّئَةِ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِها فعَمِلهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً» متفقٌ عليهِ[2].

معاني الكلمات...

- **فِيما يَرْوى عَنْ ربِّهِ:** إشارة إلى أنه من الأحاديث القدسية[3].
- **إِنَّ اللهَ كتَبَ:** إثبات صفة الكتابة لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله.
- **تبارك وتعالى[4]:** تكاثرت البركات والخيرات من قِبَله، و**(تعالى)** أي: تنزّه عما لا يليق به مما يقوله الجاحدون المبطلون.

---

[1] هو أبو العباس: عبدالله بن (العباس) عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-ابن عبد المطلب -رضي الله عنهما- وُلِدَ قبل الهجرة بثلاث سنين بالشِعب (والرسول والمسلمون وبنو هاشم وبنو عبد المطلب محصورون فيه قبل خروجهم منه) أحبه النبيُ صلى الله عليه وسلم ودعا له: «اللهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ، وَفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» فأجاب الله دعاء نبيِّهُ فهو حَبْرُ هذه الأمة ومُفسرُ كتابِ الله وترجمانُه، أمه: هي أم الفضل لُبابة بنت الحارث الهلالية، وخالته: هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح وقد أسلم قبل ذلك فإنّه صَح عنه أنّه قال: (كنت أنا وأمي من المستضعفين؟ أنا من الوِلْدان، وامي من النساء)، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدنيه من مجلسه ويستعين بعلمه الغزير وعقله الكبير، تولى إمامة الحج سنة 35هـ بأمرٍ من عثمان بن عفان له وهو محصور، وفي غيبته هذه قُتِل عثمانُ.
حاور الخوارج وجادلهم حتى رجع على يديه ألفان منهم وشَهِدَ قتالهم مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وتأمرَ على البصرة من جهة علي بن أبي طالب، فلم يزل عليها حتى مات علي، ثم وَفَدَ على معاوية فأكرمه وقربه واحترمه وعظمه، اعتزل ابن عباس الناس في خلافة ابن الزبير ونزل الطائف وأصابه العمى في كِبره، وبقي بها إلى أن توفي سنة 68هـ عن 71 سنة، روي له 1660 حديثاً، اتفقا منها على بـ 95حديث، وانفرد البخاري بـ 28حديث، ومسلم بـ 49حديث.

[2] أخرجه: البخاري برقم (6491)، ومسلم برقم (207) و (208).

[3] قال الحافظ بن حجر: (قوله -فيما يروي عن ربه- هذا من الأحاديث الإلهية ثم هو محتمل أن يكون مما تلقاه صلى الله عليه وسلم عن ربه بلا واسطة ويحتمل أن يكون مما تلقاه بواسطة الملك وهو الراجح) فتح الباري (323/11).

[4] قال الإمام بن علان: [هذه عبارة السلف في رواية الأحاديث القدسية، فلذا آثرها المصنف] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (80/1).

- ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ: أي فصَّلَ ذلك[5]. **- فمَنْ همَّ بِحَسَنةٍ:** الهمُّ (إرادةُ الشيء وترجح فعله عنده).

- عِنْدَهُ: أي عند الله تعالى كما يليق بجلاله وكماله، والمُرادُ (بيان شرف الحسنة ومكانتها ومزيد الاعتناء بها دون نفي الصفة) .

- إِلَى سَبْعِمَائِةِ ضِعْفٍ: الضعف اسم يقع على العدد بشرط أن يكون معه عدد آخر فإذا قيل ضعف العشرة فُهِمَ أنَّ المرادَ عشرون[6].

المعنى الإجمالي...

ففي هذا الحديث يُخبرنا -النبي صلّى الله عليه وسلم- أنّ الله تعالى كتبَ الحسنات والسيئات[7] ثم بيّن الله تعالى ما أُجمِّلَ من قوله (إنَّ اللهَ كَتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ) وذلك إذا همّ المسلم بعمل حسنة وترجح في قلبه فعلها إلا أنّه انصرف عنها ولم يعملها بجوارحه كتبها اللهُ تعالى له من فضله وإحسانه حسنةً كاملةً[8]مثل (رجل هَمَّ أن يتصدق وعَيَّنَ المال الذي يريد أن يتصدق به ثم أمسك ولم يتصدق فيُكتبُ له بذلك حسنةً كاملةً، رجلٌ آخر هَمَّ أن يصلي ركعتين نافلة فأمسك ولم يصل فإنّه يُكتبُ له بذلك حسنةً كاملةً) فإذا تلبست بها جوارحُهُ ضاعفها الله تعالى بفضله ومنه وكرمه إلى عشر أضعاف لقوله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} إلى سبعمائة ضعف[9] كما قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} إلى أضعافٍ كثيرة وهذا قد ثبت بالدليل في بعض العبادات كما في قوله تعالى في سورة الزُمَر: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} أي بغير حَدٍّ ولا عَدٍّ ولا مِقدارٍ (وهذا تعظيمٌ لجزاء الصابرين وثوابهم) وكما قال -صلى الله عليه وسلم- في شأن الصوم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»[10].

فإذا هَمَّ بعمل سيئة فلم يعملها أمر الله تعالى الملائكة أن يكتبوها له حسنةً كاملة (وهذا باعتبار تركها لله تعالى للخبر الوارد بذلك، وقال بعضُ العلماء أنّ الأمر على العموم لأنّ الكف عن الشر صدقة) فإن عملها أمر الله تعالى الحفظة أن يكتبوها له سيئةً واحدةً.

مناسبة الحديث لترجمة الباب...

وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:**«فمَنْ همَّ بِحَسَنةٍ»** لأنَّ الهموم بالخير هو من فعل القلب بعقد النية على ذلك ومثله في السيئة.

الفوائد...

1- فيه بيان سعة فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين.[11]
2- فيه إثبات نوع من أنواع الأحاديث وهو الحديث القُدُسي.[12]

---

[5] قال علماؤنا: (أنّ الضمير يعود على الله تعالى أنّه تعالى بيّن ما أُجمل في قوله: «إنَّ اللهَ كَتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ» وهو ما قاله الحافظ بن حجر في الفتح، ومنهم من قال أنّ الضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم أي بيّن كيف "كتب الله الحسنات والسيئات" وهو قول العلامة بن عثيمين).

[6] فتح الباري شرح صحيح البخاري (326/11).

[7] قال العلامة محمد صالح بن عثيمين: [قوله: (إن الله كتب الحسنات والسيئات) كتابته للحسنات والسيئات تشمل معنيين:
المعني الأول: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ، فإنّ الله -تعالي- كتب في اللوح المحفوظ كل شيء كما قال الله: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر: 49) وقال تعالى: (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ) (القمر: 53) فالله –سبحانه وتعالي- كتب السيئات والحسنات في اللوح المحفوظ.
المعنى الثاني: إذا عملها العبد فإنّ الله - تعالي- يكتبها حسب ما تقتضيه حكمته، وحسب ما يقتضيه عدله وفضله.
فهاتان كتابتان: (كتابة سابقة: لا يعلمها إلا الله -عز وجل- فكلٌ واحد منا لا يعلم ماذا كتب الله له من خير أو شر حتى يقع ذلك الشيء، وكتابة لاحقة: إذا عمل الإنسان العمل كُتِبَ له حسب ما تقتضيه (الحكمة، والعدل، والفضل)] اهـ شرح رياض الصالحين (75/1).

[8] قال الحافظ بن حجر: (وأما الكمال فإشارة إلى رفع توهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرد فكأنه قيل بل هي كاملة لا نقص فيها) ثم قال: (قال النووي: أشار بقوله كاملة إلى تعظيم الحسنة وتأكيد أمرها) اهـ فتح الباري (325/11).

[9] قال الحافظ بن حجر: (وهذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة وشرف العمل ونحو ذلك) اهـ فتح الباري (326/11).

[10] أخرجه مسلم برقم (1151).

[11] قال الإمام بن بطال: [هذا حديث شريف بينّ فيه النبى (صلى الله عليه وسلم) مقدار تفضل الله على عباده بأن جعل هموم العبد بالحسنة وإن لم يعملها حسنة، وجعل همومه بالسيئة إن لم يعملها حسنة وإن عملها كتبت سيئة واحدة وإن عمل الحسنة كتبت عشرًا، ولولا هذا التفضل العظيم لم يدخل أحدٌ الجنة لأن السيئات من العباد أكثر من الحسنات، فلطف الله بعباده بأن ضاعف لهم الحسنات ولم يضاعف عليهم السيئات] اهـ شرح صحيح البخاري لابن بطال (199/10).

[12] الحديث القدسي لغةً: نسبة إلى القُدُس، وهي نسبة تدل على التعظيم، لأن مادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة، فالتقديس: تنزيه الله تعالى، والتقديس: التطهير، وتقدَّس: تطهَّر، قال الله تعالى على لسان ملائكته: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} أي نُطَهِّرُ أنفسنا لك.
واصطلاحاً: (هو ما يضيفه النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الله تعالى، أي أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- يرويه على أنّه من كلام الله، فالرسول راوٍ لكلام الله بلفظٍ من عنده (قلتُ جامعه عفا الله عنه: على خلافٍ بين أهل العلم هل اللفظ والمعنى من عند الله أم المعنى من عند الله واللفظ النبي صلى الله عليه وسلم) وإذا

3- فيه إثبات صفة الكتابة لربنا سبحانه وبحمده.[13]

4- فيه الرد على المعتزلة[14] القائلين بالتحسين والتقبيح وذلك في قوله: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحسناتِ والسَّيِّئاتِ»**. [15]

5- فيه إثبات العِنديَّةِ لله تبارك وتعالى.[16]

6- فيه أنّ الملائكة يكتبون الحسنات والسيئات، ويَطَّلعون ويكتبون أعمال القلوب وأعمال الجوارح **بقدرة الله تعالى وقوته**.[17]

7- فيه الدليل على التفريق بين هَمِّ القلب وعزمه المُصمم في المعصية (فالأول صاحبه غيرُ مؤاخذ والثاني صاحبه مؤاخذ).[18]

8- جمهور العلماء على التعميم بكتابة السيئة سيئةً واحدةً في (الأزمنة والأمكنة).[19]

رواه أحد رواه عن رسول الله مُسْنَدًا إلى الله عز وجل، فيقول: "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه عز وجل....".أو يقول: "قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى - أو يقول الله تعالى ... ") اهـ مباحث في علوم القرآن ص(25).

[13] الكتابةُ و الخطُّ: صفةٌ فعليَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُنة، فهو سبحانه يكتب ما شاء متى شاء كما يليق بعظيم شأنه، لا ككتابة المخلوقين والتي تليق بصغر شأنهم [الدليل من الكتاب: قوله تعالى {سَنَكْتـبُ مَا قَالُـوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} وقوله تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ}، والدليل من السُنّة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق عرشه: إنَّ رحمتي تغلب غضبي) متفقٌ عليه، و حديث احتجاج موسى وآدم عليهما السلام، وفيه قول آدم لموسى: (أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيّاً؛ فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟...). وفي رواية: ((وخَطَّ لك التوراة بيده...) متفقٌ عليه، قال أبو بكر الآجري: (باب الإيمان بأن الله عزَّ وجلَّ خلق آدم عليه السلام بيده، وخَطَّ التوراة لموسى عليه السلام بيده...) الشريعة ص (323).

[14] المعتزلة: (فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصدة والوعيدية) اهـ الموسوعة المُيسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المُعاصرة (64/1).

[15] قالت المعتزلة: (الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والحاكم بالحسن والقبح هو العقل، والفعل حسن أو قبيح إما لذاته، وإما لصفة من صفاته لازمة له وإما لوجوه واعتبارات أخرى، والشرع كاشف ومبين لتلك الصفات فقط).

[16] قال العلامة بن عثيمين: [(العنديةُ نوعان: عنديةُ وصف وعنديةُ قرب) فقول الله تبارك و تعالى في سورة الأعراف:{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} عندية قُرب، وقوله تبارك وتعالى في سورة غافر:{ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ} عنديةُ وصف، لأنّ المقتَ ليس شيئاً مُنفصلاً بائناً عن الله تعالى حتى يكون هنا عندية قرب فهذا عندية وصف] اهـ تفسير سورة غافر فوائد الآية -35- الشريط العاشر موقع الشيخ بن عثيمين.

[17] فقد ثبت في رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة أنّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا " وفي رواية أخرى قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ "
قلتُ (جامعه عفا الله عنه): فاتضح من الروايتين أنّ الملائكة الحفظةَ هي التي تكتب الحسنات والسيئات إما بإطلاع الله تعالى لهم عليها كما في الرواية الأولى، أو قال علماؤنا: أنّ الله تعالى يخلق لهم علماً يدركون به همّ العباد على الحسنات والسيئات والله على كل شيء قدير كما دلت على ذلك الرواية الثانية، وانظر تفصيل هذه المسألة في فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (325/11).

[18] قال الإمام النووي: [وقد تظاهرت نصوص الشرع بالمؤاخذة بعزم القلب المستقر ومن ذلك قوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم الآية وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم والآيات في هذا كثيرة وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه بهم وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها والله أعلم] اهـ شرح صحيح مسلم للنووي (151/2).
وقال الإمام بن الجوزي: [إذا حدَّث نفسه بالمعصية لم يؤاخذ فإن عزم وصمم زاد على حديث النفس وهو من عمل القلب قال والدليل على التفريق بين الهم والعزم أن من كان في الصلاة فوقع في خاطره أن يقطعها لم تنقطع فإن صمم على قطعها بطلت] اهـ فتح الباري (327/11).

[19] فأما المعصية في الحرم فهي مغلظة من جهة الكيفية لا من جهة الكمية فالسيئةُ في الحرم أعظم منها في غيره، وانظر تفصيل المسألة في الفتح (329/11).